

ثورة الإمام الحسين عليه السلام في أبعادها الاجتماعية وآثارها السياسية



محاور الموضوع

- الأبعاد الاجتماعية للثورة
- الآثار السياسية للثورة

الهدف:

التعرّف على جوانب من الأبعاد الاجتماعية والآثار السياسية لثورة الإمام الحسين عليه السلام .

تصدير:

روي عن الإمام الحسين عليه السلام: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغَيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(١)

(١) وقعة الطف: ١٧٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٦.

في عصرنا الحديث.. فكيف يمكن للحسين عليه السلام أن يبيع يزيد وهو نفسه عليه السلام قد اعتبر بيعة معاوية فتنة وابتلاءً للأمة فقال عليه السلام: «أما بعد، بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور أنت عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير.. وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم لنفسي ولديني ولأمة محمد ﷺ أفضل من أن أجاهر، فإن فعلت فإنه قرينة إلى الله، وإن تركته فإني استغفر الله لديني وأسأله توقيفه لإرشاد أمري»^(٢).

ولهذا ففي إقدام الإمام الحسين عليه السلام على بيعة يزيد انحراف عن مبدأ أساسي في الإسلام من حيث إنه عليه السلام كجده رسول الله ﷺ لا يرى في ولاية العهد (وراثته الملك) إلا بدعة دخيلة على الإسلام، ومن حيث إن اختيار شخص يزيد للخلافة والحكومة مع ما عرف عنه من سوء السيرة، وميله إلى اللهو وشرب الخمر، ومنادمة القروء ليتولى منصب الخلافة عن رسول الله ﷺ. فإن ذلك أكبر وزر يحل بالنظام السياسي للإسلام، يتحمّله وزره كل

الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فإله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»^(٣).

فإن الإصلاح المقصود هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل جوانب الدين والحياة، وقد تحقق ذلك من خلال النهضة العظيمة التي قام عليه السلام بها. فكانت الهداية والرعاية للبشر دينياً ومعنوياً وإنسانياً وأخروياً بمقتله وشهادته، وتلك النهضة التي عليها تربت أجيال من الأمة، فكان الإمام الخميني، وكانت الثورة الإسلامية، والمقاومة الإسلامية في لبنان على هذا النهج والمبدأ.

٢- مواجهة الظلم وعدم الركون للظالمين: يتضح هذا الأمر من خلال معرفة أهمية البيعة وأثرها على المجتمع والناس، فالبيعة تعني الإقرار بالوراثة السياسية في الحكم مهما كانت صفات وقدرات الخليفة، وهي من أخطر الظواهر والأمراض التي فتكت في العالم الإسلامي

الأبعاد الاجتماعية للثورة

١- مبدأ الإصلاح: يعتبر إصلاح المجتمعات والأمم من الضرورات الاجتماعية والدينية، التي أكدت عليها الشرائع السماوية كافة، ولا سيما الدين الإسلامي، واعتبرتها القوانين الوضعية من أصول البنية الاجتماعية. قال الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

وقد أولت السنة الشريفة الإصلاح بين الناس أو إصلاح ذات البين أهمية فائقة، روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «صدق الله: إصلاح بين الناس إذا تقاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»^(١).

ولهذا فإن الإصلاح الذي أعلنه الإمام الحسين عليه السلام واعتبره شعاراً وهدفاً لثورته هو استمرار لهذا المبدأ، وقد أشار إليه في سياق وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: «... وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب



من شارك فيه، فكيف اذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول الله ﷺ .

٣- أثر الثبات في الموقف على المجتمع: الواضح من كل المعطيات التي وردت من ناحية الشام، بعد موت معاوية أنه لم يكن للإمام الحسين ﷺ غير طريق واحد هو الشهادة ... فيزيد لا يقبل من الإمام إلا البيعة، وما دام الحسين ﷺ لن يعطي البيعة ليزيد مهما تكن الأسباب والنتائج، فلا خيار أمام الإمام الحسين ﷺ إلا السيف والشهادة، وقد كان موقف الإمام ﷺ في الامتناع من البيعة ليزيد موقفا واضحا لا يشك فيه أحد، يقول الإمام ﷺ لمحمد بن الحنفية: «يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبدا»

وبهذا يكون الإمام الحسين ﷺ قد أسس قاعدة هامة في الثبات والصمود والتحمل أمام كل التحديات والمخاطر الناتجة عن مواجهة الظالمين، وإن أدى ذلك إلى التضحيات الغالية.

الآثار السياسية

١- عدم إعطاء الشرعية لسلطة بني أمية: لقد خرج الإمام الحسين ﷺ على السلطة الأموية آنذاك ورفض البيعة ليكون هذا الرفض بمثابة عدم اعتراف بمشروعية السلطة حيث لا مشروعية لمنطق الغلبة والواقع المفروض بناءً على رؤية ترى أن مشروعية السلطة أقوى من السلطة نفسها، وأن أية سلطة مهما تغلبت لا بد لها في نهاية المطاف من أن تخضع لمنظومة من المفاهيم هي التي تمنحها أو تسلبها صفة المشروعية ولهذا نجد أن الإمام الحسين ﷺ قد صرح عند لقائه بمرwan عند محاولة الأخير تحسين صورة أمر بيعة يزيد في عين الإمام ﷺ قائلا: «على الإسلام

السلام إذا ابتليت براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فإذا رأيت معاوية على منبري فابقروا بطنه، وقد رآه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا بطنه فابتلاهم الله بيزيد الفاسق»^(١)، لهذا رفض الإمام الحسين ﷺ حكم يزيد وأعلن الثورة عليه، وكشف عن الأسباب التي دفعته إلى إعلانه: «أيها الناس من رأى إماماً جائراً يحلّ حرّات الله ويتقض عهد الله من بعد ميثاقه...» و«أيها الناس إنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمان وأفسدوا في الأرض وعطلوا السنن والأحكام واستأثروا بيت أموال المسلمين وحلّوا حرّات الله، وحرّموا ما أحله الله، وأنا أحقّ الناس بالإنكار عليهم»^(٢).

ولهذا كله كان جواب الإمام الحسين ﷺ عندما طلبت منه البيعة ليزيد: «إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة ملعن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة».

ولم يتبدل شيء في مواقف الإمام الحسين ﷺ من بني أمية التي تمثل أكبر مصاديق الجور والظلم في الدين والسياسة والحكم، وإدارة شؤون الرعية وغيرها، بل إن ذلك زاده إيمانا وقوة وصلابة بوجوب أداء التكليف الإلهي في مواجهة الظالمين فإن المرحلة بنظر الإمام الحسين ﷺ، ينطبق عليها وجوب مواجهة الحاكم الظالم المستحل لما حرّمه الله تعالى مهما تعاظمت قوته وغطرسته.

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ.

(٢) م.ن.

٢- خيار الشهادة لا الذلة: لقد حسم الإمام الحسين ﷺ خيار المعركة مع الظالمين، على قاعدة أنه مهما كانت النتائج في مواجهتهم، فلا بد من المواجهة، ولا يمكن مبايعة الظالم حتى لو كانت الخيارات محدودة أو محصورة بين حد السيف والقتال وبين الركون والاستسلام بالمبايعة. ولهذا أعلن الإمام الحسين ﷺ خياره وقومه بشكل واضح؛ هبّات من الذلة التي لم تكن شعاراً شكلياً رفعه الإمام الحسين ﷺ، بل نهجاً رسمه الإمام ﷺ للأمة ولكل الأجيال القادمة بأنّ الذل والخضوع للظالم لا مكان له في قاموس المجاهدين الحسينيين، لأنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين كما صرح الذكر الحكيم. فقد أعلن الإمام الحسين ﷺ عندما توضّحت نوايا الغدر والخذلان والإصرار على محاربة الإمام ﷺ وطاعة يزيد الفاسق: «فحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب وثبّة الكتاب وثقّة الشيطان وعصبة الأثام ومحرفي الكتاب ومطفئي السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيدي عترة الأوصياء وملحقي العهار بالنسب ومؤذي المؤمنين وصراخ أئمّة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين، ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون....»

٣. إحياء روح التضحية ورفض الظلم.... ثم قال ﷺ: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهبّات من الذلة! يا بني الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام....»^(٣).

